حول العرب وعلاقتهم بالدولة الساسانية

إعداد

أ.د/ رشـــاد محمود بغـــدادي

أستاذ التاريخ القديم

قسم التاريخ- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة أم القرى

المقدمة :

حينما فتح العرب المسلمون بلاد فارس لم يكن ذلك أول إتصال يتم بين العرب والفرس، فقد كان للعرب صلات قديمة مع بلاد فارس، وحينما انتصر العرب على الفرس في ذي قار كان ذلك أول يوم انتصفت فيه العرب من الفرس، ثم جاء الإسلام والذي بفضله استطاع المسلمون فتح بلاد فارس والقضاء على مُلك الأكاسرة تحقيقاً لدعوة الرسول ﷺ الذي قال عن يوم ذي قار "هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ونصرت عليه بي..." فالعرب قبل مبعث الرسول الكريم ﷺ كانت لهم علاقات مع بلاد فارس، وفي هذا البحث سيناقش الباحث علاقة الدولة الساسانية بالعرب الشماليين، والعرب الجنوبيين، وكذلك العرب في الخليج العربي.

إن المعلومات المتوفرة في المصادر والمراجع والتي تتحدث عن تلك العلاقة قليلة، على الأخص عن العلاقة بين الدولة الساسانية والخليج، فهي لا تزيد عن عدة سطور في تلك المصادر والمراجع. وتتركز نقاط البحث على دراسة تاريخية لعلاقة الدولة الساسانية بالمناذرة، ملوك الحيرة، حيث كانت تربطهم علاقات ذات مصالح، فقد استعان الفرس بالمناذرة للوقوف حاجزاً في وجه القبائل التي تغير على حدود وأملاك الدولة الساسانية، كما استعان الفرس بالمناذرة لمحاربة الروم والتصدي لتوسع نفوذهم. وقد مُنِحَ المناذرة بالمقابل مملكة في الحيرة ذات استقلال محدود، كما أصبح لهم امتيازات في شؤون التجارة بين بلاد فارس والشرق والجزيرة العربية، وفي حين كانت علاقة الدولة الساسانية بالعرب الجنوبيين في اليمن علاقة مُسْتَعْمِر بُمْسَتعْمَر، فقد احتل الفرس اليمن في نهاية القرن السادس الميلادي وأصبحت خاضعة لحكم الفرس حتى جاء الإسلام وحررها من سيطرة الفرس في بداية القرن السابع الميلادي. أما الخليج العربي ونخص منه البحرين وعُمان فقد خضع للنفوذ الفارسي، ولكن هناك ما يشير إلى أنه في فترات معينة كان عمال البحرين وعمان تابعين لملوك الحيرة المناذرة.

إن تاريخ الدولة الساسانية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتاريخ العربي والإسلامي وتعرف هذه الدولة في المصادر العربية بإسم دولة الأكاسرة. وفي عصر ما قبل مبعث الرسول محمد ﷺ كانت تربط العرب بالدولة الساسانية علاقات ذات مصالح مشتركة فقد اتخذ الساسانيون من المناذرة، أو من مملكة الحيرة حاجزاً يقف في وجه توسع الروم (البيزنطي)، والتصدي لهجمات الروم والقبائل العربية على أملاك وحدود الدولة الساسانية كما فرض بعض ملوك هذه الدولة الحماية والسيطرة على عدد من المشيخات العربية في الخليج وغيره من

بلاد العرب. بينما استطاع ملوك هذه الدولة الفارسية غزو واحتلال بلاد العرب الجنوبية الغربية ودخل اليمن تحت حكمهم. في حين نجد أن إمارة تدمر العربية وقفت موقف الند لهذه الدولة، حيث تمكن حاكمها من آل أذينة (٢٦٥م) من مطاردة ملكها شابور الأول (٢٤١-٢٧٢م)[١] حتى أسوار طيسيفون (المدائن) وإلحاق الهزيمة به. كما نجد أن اسماء بعض ملوك الدولة الساسانية أُطلق عليها ألقاباً عربية مثل أنوشروان العادل، وسابور ذو الأكتاف، كدليل على وجود علاقات قديمة بين الفرس والعرب.

تسميتها بهذا الإسم- الدولة الساسانية- تعود نسبة إلى ساسان مؤسس هذه السلالة الفارسية. ويعتبر أردشير الأول بن بابك بن ساسان (٢٢٤- ٢٤١م) هو المؤسس الحقيقي للدولة الساسانية. وقد قامت الدولة الساسانية حينما استطاع أردشير الأول الإستيلاء على المدائن (طيسيفون) عاصمة البارثيين في عام ٢٢٦م، وقد استمرت الدولة الساسانية أكثر من أربعة قرون، حيث جاءت نهايتها على يد العرب المسلمين وذلك بمقتل آخر ملوكها يزدجرد الثالث (٦٣٣-٦٥١م)، وذلك في عام ٦٥١م زمن خلافة عثمان بن عفان، رضي الله عنه. وقد بلغ نفوذ هذه الدولة بحيث احتلت أجزاء من بلاد الشام، كما أخضعت الخليج العربي واليمن بالقوة العسكرية إلى حكمها[٢].

الدولة الساسانية وعلاقتهم بالعرب الشماليين (المناذرة):

كانت القبائل العربية تعيش على تخوم الدولة الساسانية، وكان الأعراب بطبيعتهم يحبون حياة الصحراء ويعيشون على الرعي، كما استخدموا الغارة والسلب على القبائل المعادية وسيلة من وسائل العيش، ونظراً لوجودهم على حدود دولة الفرس الغنية بثرواتها، لذلك لم يستطيعوا هؤلاء الأعراب مقاومة تلك المغريات فكانوا يغيرون على أطراف الدولة الساسانية للغزو والنهب. وكانت الدولة الساسانية عاجزة عن أن تفعل أي شيء لإيقافهم، لأنهم كانوا ينطلقون إلى

---

(1) Kitchen, K.A., The World of Ancient Arabia Series: Documentation for Ancient Arabia- Part 1, Chronological Framework & Historical Sources, Liverpool University Press 1994, P.253.

(٢) حول تاريخ الدولة الساسانية بالتفصيل انظر: أرثركرستنسن : إيران في عهد الساسانيين- ترجمة يحي الخشاب، مراجعة: عبدالوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨م. طه باقر وآخرون: تاريخ إيران القديم، جامعة بغداد ١٩٧٩م. حسن بيرنيا: تاريخ إيران القديم، ترجمة محمد نور الدين عبدالمنعم، السباعي محمد السباعي، مراجعة: يحي الخشاب، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٩م، ص ص ٢٢١-٢٩٢.

الصحراء بعد إتمام غاراتهم ويتحصنون فيها فلا يستطيع الفرس اللحاق بهم، لأن للعرب معرفة ودراية كبيرة بطرق الصحراء ومسالكها، ولهم قدرة عظيمة على تحمل القيظ، وهي شروط لا تتوفر في الفرس المتمدنين. ولا بد أنه جرت محاولات لإخضاع العرب عسكرياً لحكمهم اتقاءاً لغزوهم ونهبهم، ولكن الخوف من أن يتكبد الفرس الخسائر في الأموال والأرواح من جراء غزوهم لبلاد العرب الصحراوية، ونظراً لأنه من الصعب إخضاع العرب بسبب تفرقهم، لذلك أحجم الفرس عن الدخول في مغامرة غير مضمونة لإخضاع العرب، ورأى الفرس أن أفضل وسيلة لدفع شر العرب البدو هو مساعدة بعض القبائل العربية القوية والمجاورة لتخوم دولتهم على الاستقرار والتوطين ليقيموا فيها إمارة ذات استقلال محدود، فأسست إمارة الحيرة على غرب نهر الفرات في القرن الثالث الميلادي، أي في عام ٢٦٥م[١] لتقف حاجزاً يصون حدود الدولة الساسانية من غارات العرب البدو.

تعرف إمارة الحيرة بإسم دولة المناذرة، أو دولة اللخميين، ودولة آل نصر، أو بإسم مملكة الحيرة، أو دولة عمرو بن عدي، وقد كانت هذه الدولة على أطراف العراق[٢]. ويعتبر عمرو بن عدي (٢٦٥-٢٩٥م)[٣] هو المؤسس الحقيقي لدولة اللخميين المناذرة، وهو أول من اتخذ من الحيرة عاصمة لدولته وإليه ينسب ملوك العرب في العراق [٤]. وقيل أن ملك الفرس أسس إمارة الحيرة وأقر عليها عمرو بن عدي [٥]. ولقد تولى حكم الحيرة عمرو بن عدي في عام ٢٦٨م، واستمر مُلك الحيرة حتى عام ٦٣٣م[٦]. على أن هناك من يذكر أنه تولى عام ٢٦٥م، وهو بداية حكم الحيرة[٧] وسقطت الحيرة على يد العرب المسلمين بقيادة خالد بن الوليد عام ١٢ هجرية في زمن خلافة الصديق، رضي الله عنه[٨].

لقد ساهمت الظروف والأوضاع في قيام دولة المناذرة في الحيرة، بعد

---

(1) Kitchen, Documentation, Part 1, P.251.

(٢) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام- القاهرة ١٩٣٩م– ص ٢٧٥م.

(3) Kitchen, Documentation, Part 1, P.251.

(٤) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير): تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري- الجزء الثاني- دار القاموس الحديث- بيروت (د.ت)– ص ٣٧ .

(٥) أحمد أمين: فجر الإسلام- بيروت ١٩٦٩م– ص١٦، طه باقر: المرجع السابق، ص ١٥٧ وما بعدها؛ Musil,A., The Middle Eaphrates, N.Y., 1927, P.102.؛ وتفصيلياً عن الحيرة، أنظر: محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم- المكتبة التاريخية (١)- لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر (١)- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٥٧٧- ص٥٨٠.

(٦) جرجي زيدان: المرجع السابق ص ٢٢٢.

(7) Kitchen, Documentation, Part 1, P.251.

(٨) تاريخ الطبري: الجزء الرابع- ص ١١-١٥.

أن تمكن أردشير الأول من تأسيس الدولة الساسانية في بلاد فارس عام ٢٢٦م والتي وحّد فيها شمل الفرس مرة أخرى، تطلع إلى حل المشكلة التي كانت تواجه دولته وهي تعرض حدودها لهجوم الروم وغارات القبائل العربية المستمرة، فسمح للعرب اللخميين بالنزول والعيش في الحيرة وتكوين إمارة لهم هناك شبه مستقلة. وكان هدفه هو أن يتخذ من هؤلاء العرب حاجزاً يقف في وجه الغارات التي كانت تشنها القبائل العربية، كذلك يستعين بهم على الروم الذين كانوا في صراع مستمر مع الفرس [١].

تولى حكم الحيرة على مدار ٣٦٤ سنة ٢٢ ملكاً[٢]، وقيل ٢٥ ملكاً [٣]، تعاقبوا على السلطة، وفي رواية أن عدد ملوك الحيرة كان ٢٣ ملكاً، وكانت مدة ملكهم أكثر من ٦٢٠ سنة [٤]. على أن هناك من يذكر أن عدد ملوك الحيرة كان ٢١ ملكاً[٥]. وذكر أن سابور الأول (٢٤١-٢٧٢م) بن أردشير الأول كان هو الذي عين عمرو بن عدي ملكاً على العرب في العراق [٦]. وكان النظام المتبع من قبل هو أن يقدم العرب في الحيرة الطاعة لملك الفرس الذي يولي عليهم ومن بينهم أميراً، وكانت مهمة هؤلاء العرب حماية حدود دولة الفرس من كل المغيرين عليها في مقابل أن يعفيهم الفرس من دفع الإتاوة[٧]. وقد قامت دولة المناذرة في الحيرة وأصبح نفوذها يشمل المنطقة الواقعة غرب نهر الفرات ليشمل كافة القبائل العربية هناك، ولم تكن دولة المناذرة مستقلة تماماً عن الدولة الساسانية، وكان يحكمها الملوك[٨]حكماً ذاتياً وأما تبعية ملوك الحيرة لملوك الفرس فكانت بحسب ما يتم الاتفاق بينهما عليه في شكل معاهدات واتفاقات[٩].

---

(١) محمد مبروك نافع: عصر ما قبل الإسلام- القاهرة ١٩٥٢م، ص٩٥، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام- الجزء الأول- القاهرة- ١٩٦٤م– ص ٣٣، أحمد أمين- المرجع السابق، ص١٦؛ آرثر كريستنس: المرجع السابق، ص٨٢

(٢) جرجي زيدان: المرجع السابق- ص ٢٢٢.

(٣) محمد مبروك نافع: المرجع السابق- ص ٩٧.

(٤) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر- الجزء الثاني- بيروت ١٩٦٩م- ص ٨٠.

(5) Kitchen, Documentation, Part 1, P.251.

(٦) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية- ترجمة: بنيه أمين فارس ومنير البعلبكي- الجزء الأول- بيروت ١٩٦٠م- ص ٢٣.

(٧) أحمد أمين: المرجع السابق، ص١٧.

(٨) ربما لم يكن هؤلاء الملوك من المناذرة بالملوك كما هو واقع في هذه الكلمة يعني وإنما كانوا أمراء مرتبطين بالتاج الفارسي، لذلك كان العرب يطلقون عليهم لقب ملوك مجازا، وإن كان إطلاق هذا اللقب عليهم صحيحاً، فإنه ليس ذا قيمة رسمية، حيث أنه قد لا يتجاوز ما كان مفهوم هذا اللقب بالنسبة للغساسنة عند البيزنطيين.

(٩) أحمد أمين: المرجع السابق، ص ١٧؛ حسين مجيب المصري: صلات بين العرب والفرس والترك- القاهرة ١٩٦٩م– ص ٢١.

اشتهر الكثير من ملوك الحيرة بصلاتهم بالدولة الساسانية بصفة خاصة حسنة وإن كانت تصاب بالتعكر والإهتزاز في بعض الأحيان. وقد قام معظم هؤلاء الملوك بأداء دورهم، في حماية حدود الدولة الساسانية من قبائل العرب التي كانت تغير عليها، وكذلك مساعدة ملوك الفرس في حروبهم المستمرة مع الروم، وقد عرف ملوك الحيرة عند المؤرخين بإسم آل لخم، وآل نصر، كما عرفوا أيضاً بإسم النعامنة لكثرة إسم النعمان بينهم، وبإسم المناذرة لشيوع اسم المنذر بينهم، وعرفوا كذلك بآل محرق[١].كما سموا أيضاً بآل عدي، وأطلق العرب على بني المنذر الملوك الأشاهب لجمالهم[٢].

اشتهر من ملوك الحيرة امرؤ القيس بن عمرو بن عدي (٢٨٨-٣٢٨م)، حيث عاصر من ملوك الفرس بهرام الثالث (٢٩٣م)، ونرسي بن بهرام (٢٩٣-٣٠٢م)، وهرمز بن نرسي الثاني (٣٠٢-٣٠٩م)، وسابور الثاني ذو الأكتاف (٣٠٩-٣٧٩م). وذُكِرَ أن ملكه كان واسعاً، وكان عاملاً للفرس على خراج العرب من مضر وربيعة وسائر من كانوا في بادية العراق والحجاز والجزيرة، وذُكِرَ أنه أول من تنصر من ملوك الحيرة[٣]. فقد استطاع أن يخضع قبيلتي أسد ونزار ويهزم قبيلة مذحج ويخضع معد، ويوزع أبنائه بين القبائل، ووصل في توسعاته أسوار نجران وأخضع معظم أنحاء الجزيرة العربية لحكمه[٤]. في عهده حدثت معارك بين الدولة الساسانية والدولة البيزنطية وذلك زمن حكم سابور ذي الأكتاف مع الإمبراطور البيزنطي جوليان (Julian) (٣٦١-٣٦٣م) الذي يسميه العرب لليانوس. وقد انضم إلى جوليان الكثير من العرب الخاضعين لحكم سابور هذا انتقاماً منه لكثرة ما قتل من العرب في مطلع حكمه، وقد استطاع العرب قتل الكثير من جنود سابور وألحقوا بجيشه هزيمة ساحقة، فهرب سابور ومن بقي معه من جنود، ودخل جوليان (لليانوس) مدينة طيسيفون عاصمة الدولة الساسانية، واستولى على خزان وأموال سابور، ولكن سابور سرعان ما جمع جيشه وعاد لمهاجمة الروم فاستطاع إخراجهم من المدائن، وقد قتل جوليان في ذلك الوقت مما أدى إلى تشتت شمل الروم فلحق سابور بهم وأنزل بهم الهزيمة، وقد عقد خليفة جوليان الإمبراطور البيزنطي جوفيان (Jovian) (٣٦٣-٣٦٤م) أو يوسانوس الصلح مع سابور الذي سرعان ما التفت إلى العرب للإنتقام منهم، فقتل الكثير من العرب ونزع أكتاف رؤسائهم، فكان ذلك سبب تسميته بذي الأكتاف [٥].

---

[١] جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام- الجزء الثالث- بيروت ١٩٦٩م- ص ١٥٩.

[٢] جواد علي: المفصل- ١٧٦/٣.

[٣] تاريخ الطبري– ٦٤/٤ وما بعدها.

[٤] جواد علي: المفصل– ١٩٠/٣ -١٩١.

[٥] انظر التفاصيل في تاريخ الطبري– ٦٦/٤-٧٠، جواد علي: المفصل– ٦٤١/٢ وما بعدها.

اعتبر النعمان الأول بن امرؤ القيس الثاني (٣٨٨-٤١٨م) من أشهر ملوك الحيرة، كما يلقب بالأعور والسائح. عاصر من ملوك الفرس يزدجرد الأول (٣٩٩-٤٢٠م)، وبهرام جور الخامس (٤٢٠-٤٣٨م). وعرف عنه أنه كان قوياً وحازماً ومن أشهر ملوك العرب بطشاً بأعدائه، وقد قامت بينه وبين عرب الشام غزوات وحروب وغزواته كتيبتان من الجيش وهما الدوسرة التي اشتهرت بشدة بطشها وأهلها من تنوخ، والشهباء وهي مؤلفة من الفرس[١]. وفي رواية أنه كان له خمس كتائب وهي الدوسرة، والشهباء، والرهائن، والصنائع، والوضائع[٢] وينسب إلى النعمان الأول بناء "قصر الخورنق" الذي اشتهر في كتب الأدب والتاريخ العربي وذكر أن النعمان كان قد بناه لكي يعيش فيه بهرام جور بن يزدجرد الأول. لأنه لم يعش ليزدجرد ولد فسأل عن مكان برئ مرئ صحيح من الأدواء والأسقام فدلوّه على الحيرة، فأرسل إبنه بهرام إلى النعمان هذا وأمره ببناء الخورنق له ليعيش فيه [٣].

هناك من يذكر أن النعمان الأول كان قد اعتنق النصرانية ولكن ذلك موضع شك ولم يثبت صحته بعد، وربما كان النعمان على علاقة طيبة بالنصارى من قومه، ولم يكن متحاملاً على النصرانية وسمح للنصارى بممارسة شعائرهم الدينية بدليل وجود أسقف مسيحي في الحيرة منذ سنة ٤١٠ ميلاديه[٤] والواقع أن النعمان ظل وثنياً، وأن ملوك الحيرة حتى أواسط القرن السادس الميلادي ظلوا على الوثنية، وأن المنذر بن ماء السماء كان يقدم الذبائح إلى العزى [٥].

أصبح النعمان الأول زاهداً في آخر أيامه وكانت نهايته أنه خرج من قصره ذات مساء سائحاً في الأرض وغاب ولم يعرف عنه أي شيء بعد ذلك. تولى من بعده إبنه المنذر الأول (٤١٨- ٤٥٢م) وقد ساعد المنذر بهرام جور في حروبه مع الروم، والتي قامت بسبب اضطهاد بهرام جور للنصارى [٦].

---

(١) جرجي زيدان: المرجع السابق- ص ٢٢٩؛ سعد زغلول عبد الحميد: في تاريخ العرب قبل الإسلام- بيروت ١٩٧٥م، ص٢١٨.

(٢) جواد علي: المفصل-١٩٨/٢-١٩٩؛ عبد العزيز سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام– الجزء الأول– الإسكندرية (د.ت)– ص٢٣١-٢٣٢.

(٣) تاريخ الطبري- ٧٢/٣.

(٤) محمد مبروك نافع: المرجع السابق- ص ١٠٣، عبدالعزيز سالم- المرجع السابق- ص٢٣٤ وما بعدها.

(٥) جرجي زيدان: المرجع السابق- ص ٢٤١.

(٦) محمد مبروك نافع: المرجع السابق- ص ١٠٢-١٠٣؛ Kitchen, Documentation, Part 1, P.251.

ومن أشهر ملوك الحيرة أيضاً كان المنذر الثالث (٥٠٥-٥٥٤م)، وكان يعرف بذي القرنين بسبب ضفيرتين كانتا له، كما عرف أيضاً بإسم المنذر بن ماء السماء، وماء السماء كان لقباً لأمه مارية بنت عوف بن جشم بن هلال بن النمر بن قاسط [١]، وقد سميت بماء السماء لحسنها وجمالها[٢]. وقد عاصر المنذر بن ماء السماء من ملوك الفرس قباذ وإبنه أنو شروان، كما عاصر جستنيان الأول (٥٢٧-٥٦٥م) (Justinian) قيصر الروم والحارث بن جبلة الغساني، وفي عهده وقع الاحتلال الحبشي لليمن. بتحريض من قباذ ملك الفرس قام المنذر بن ماء السماء بغزو حدود الروم في عام ٥١٩م وأسر قائدين من الروم هما ديموستراتوس وتيموستراتوس، وقد استطاع رسول قيصر الروم الذي أرسله إلى المنذر في عام ٥٢٤م، إطلاق سراح هاذين القائدين. ولكن العلاقة سرعان ما ساءت بين الروم والفرس واشتعلت الحرب بينهما مرة أخرى في عام ٥٢٨م، وقد اشترك المنذر بن ماء السماء في جانب الفرس في هذه الحرب، فاجتاح بلاد الشام وحصل على بعض الغنائم، ثم جدد هجومه على الروم مرة أخرى في عام ٥٢٩م، ووصل إلى حدود انطاكية وأحرق عدداً من المدن من ضمنها "حلقيدونية".

وقد رأى قيصر الروم جستنيان نفسه مضطراً إلى طلب العون والمساعدة من الحارث بن جبلة الغساني للوقوف في وجه المنذر بن ماء السماء وقد منح جستنيان الحارث بن جبلة لقب "فيلارخ" و"بطريق" لصده غارات الفرس وحلفاؤهم المناذرة[٣]. فانتقل بذلك العداء الموروث بين الفرس والروم إلى العرب فصار المناذرة مع الساسانيين، وصار الغساسنة مع البيزنطيين وأصبح العرب يقاتلون بعضهم البعض في سبيل إرضاء الفرس والروم، وبدأت سلسلة من الحروب بين الغساسنة والمناذرة حول الإتاوات التي كانت تجني من عرب منطقة تدمر، حيث كان كل طرف يرى أحقيته في تحصيلها، ولم تنته هذه الحروب إلا بمصرع المنذر بن ماء السماء في المعركة التي قامت في مقاطعة "قنسرين" وتعرف بإسم "يوم حليمه" حين تمكن الحارث بن جبلة بإحدى حيلة من القضاء على خصمه المنذر بن ماء السماء في عام ٥٥٤ ميلادية [٤].

---

(١) تاريخ الطبري: ٩٤/٤.

(٢) المسعودي: مروج الذهب- ص٧٤.

(٣) جواد علي: المفصل- ٢١٩/٣-٢٢١.

(٤) عبد العزيز سالم: المرجع السابق- ٢٣٩؛ تفصيلياً- أنظر: أماني خليفة محمد البحر: "علاقة الغساسنة السياسية بالإمبراطورية البيزنطية والقوى المجاورة في القرنين الخامس والسادس الميلاديين"، رسالة دكتوراه (غير منشورة)- قسم التاريخ- كلية الآداب للبنات بالدمام- ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

خلف المنذر بن ماء السماء بعد مقتله على ملك الحيرة إبنه عمرو الثالث بن المنذر (٥٥٤-٥٦٩م)[١]، وكان قد اشتهر بإسم عمرو بن هند وذلك نسبة إلى أمه هند بنت عمرو بن حِجْر آكل المرُار الكندي، ولقب أيضاً بلقب "مضرط الحجارة" وذلك إشارة إلى شدة بأسه وقوته، وكانت العرب تخشاه وتهابه لجبروته، وقد عرف بالمحرق "لأنه حرق بني تميم أو أحرق نخل اليمامة[٢]. وقد عاصر عمرو بن هند عصر كسرى أنوشروان ملك الفرس، كما قام عمرو بن هند بغزوات متعددة ضد القبائل العربية، فغزا تغلب لعدم نصرته للأخذ بثأر أبيه القتيل في يوم حليمه[٣]، كذلك اشتهر بغزواته لطيء وعرب الشام الغساسنة، حلفاء البيزنطيين، ففي عام ٥٦٣م أغار على بلاد الشام وكان على عربها الحارث بن جبلة الغساني وذلك بسبب عدم دفع الروم الإتاوة التي كانوا يدفعونها لوالده المنذر مقابل سكوت المناذرة عن التحرش ومهاجمة حدود البيزنطيين. وقد عهد إلى أخيه قابوس بمواصلة غزو ديار الغساسنة، فقام قابوس بغزو بلاد الشام في عام ٥٦٦م و ٥٦٧م [٤]. وكانت نهاية عمرو بن هند على يد عمرو بن كلثوم [٥].

خلف قابوس بن المنذر (٥٦٩- ٥٧٣م) أخاه عمرو بن هند على ملك الحيرة[٦]، وقد قام أثناء حكمه بعدة غارات على بلاد الشام التي كانت تحت حكم المنذر بن الحارث بن جبلة الغساني واستطاع قابوس أن يحقق بعض الانتصارات على المنذر بن الحارث، ولكن المنذر قام بهجوم معاكس لم يتمكن قابوس الصمود أمامه فلحقت بقابوس الهزيمة وتعقب المنذر قابوس إلى مسافة قريبة من الحيرة وعرفت هذه المعركة "بيوم بانح" وقد حاول قابوس في عام ٥٧٠م أن يقوم بغارة انتقامية جديدة على خصومه الغساسنة، ولكنه فشل فيها

---

(1) Kitchen, Documentation, Part 1, P.251.

(٢) تاريخ الطبري: ١٠٤/٢؛ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري: المعارف- القاهرة ١٩٣٤م، ص٢٨٣.

(٣) محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم: أيام العرب في الجاهلية- دار الجيل- بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٥٤- ص٥٩؛ محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي: أيام العرب في الجاهلية- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص٤٩- ص٥٣.

(٤) جواد علي: المفصل- ٢٥٤/٣.

(٥) تفصيلياً عن العلاقة بين المناذرة والغساسنة في إطار الصراع الفارسي- البيزنطي؛ أنظر: أماني خليفة محمد البحر: "علاقة الغساسنة السياسية بالإمبراطورية البيزنطية والقوى المجاورة في القرنين الخامس والسادس الميلاديين"، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ- كلية الآداب للبنات بالدمام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص١٧٤- ص٢٣٥.

(6) Kitchen, Documentation, Part 1, P.251.

أيضاً. وسنحت لقابوس الفرصة مرة أخرى حينما حدثت القطيعة بين قيصر الروم بسطينوس وخصمه المنذر بن الحارث الغساني، فجدد قابوس غاراته على حدود البيزنطيين في الشام وتوغل فيها حتى وصل أتباعه إلى حدود أنطاكية وقد استمرت غارات عرب العراق لحدود البيزنطيين في الشام طيلة مدة القطيعة بين البيزنطيين والمنذر بن الحارث وهي ثلاثة سنوات ولما تم الصلح بينهما عادت جيوش الغساسنة تهاجم الحيرة وأنزلت بالمناذرة خسائر عظيمة [١].

تولى عرش الحيرة بعد قابوس بن المنذر أميرا فارسياً يدعي فيشهرت أو السهراب (٥٧٣-٥٧٤م) [٢]، ولعل السبب في تعيينه ملكاً على الحيرة يرجع إلى النزاع الذي حدث بين أمراء بني لخم بعد وفاة قابوس حول ولاية العرش، فقد حل الفرس هذا الخلاف وعينوا رجلاً غريباً عن أهل الحيرة حتى تزول أسباب الخلاف بدليل أن حكم فيشهرت لم يستمر أكثر من عام وبعدها عاد الملك إلى اللخميين وعين المنذر بن المنذر بن ماء السماء ملكاً على الحيرة وقد عاصر المنذر الرابع (٥٧٤-٥٧٨) الأيام الأخيرة من عصر كسرى أنو شروان وعاصر هرمز بن كسرى[٣].

حكم المنذر الحيرة لمدة أربع سنوات، وقد ترك المنذر هذا اثنا عشر من الأولاد دون أن يوصى لأى واحد منهم بالعرش، وإنما ترك الأمر بيد أياس بن قبيصة الطائي حتى يبدي كسرى رأيه، فملك أياس الحيرة عدة أشهر حتى اختار كسرى النعمان بن المنذر ملكاً على الحيرة، ويُستنتج من هذه الحادثة مدى الضعف الذي وصلت إليه سلطة أمراء المناذرة اللخميين حتى أصبح تنصيب أمراء الحيرة بيد الأكاسرة من الفرس[٤].

عاصر النعمان الثالث بن المنذر (٥٨٠-٦٠٢م) من ملوك الفرس هرمز بن كسرى أنوشروان وكسرى أبرويز، وكان النعمان يعرف بأبي قابوس، كما كناه الشعراء بأبي قبيس، والبعض كناه أيضاً بأبي المنذر[٥]. وذكر أنه هو الذي كان يقال له أبيت اللعن[٦]. وقد وصف النعمان بن المنذر أنه دميم الخلقة، أحمر الوجه، ابرشا وقصير القامة خلافاً لإخوته الآخرين الذين كانوا يعرفون

---

(١) جواد علي: المفصل- ٢٥٨/٣ -٢٥٩.

(2) Kitchen, Documentation, Part 1, P.251.

(٣) جواد علي: المفصل- ٢٦٠/٣؛ Kitchen, Documentation, Part 1, P.251.

(٤) عبد العزيز سالم: المرجع السابق- ص ٢٤٣.

(٥) جواد علي: المفصل- ٢٦١/٣.

(٦) المسعودي : مروج الذهب- ص ٧٥.

بالأشاهب لجمالهم[1]، وكانت أم النعمان سلمى إبنة صائغ وجارية من دومة الجندل، وذكر أن أصلها كان يهودياً، لذلك كان لقبح النعمان وأصل أمه سبباً قوياً لخصومه للتهكم والسخرية به، وقد أثر ذلك النقص على نفسية النعمان بن المنذر وسلوكه، فصار يهيج ويتأثر بسرعة، ويصدق الوشايات بسهولة دون تأكد من ذلك الأمر الذي أدى في النهاية إلى ضياعه وضياع ملكه [2].

كان والد عدي بن زيد يتعهد شؤون الأمير النعمان بن المنذر في صغره وعندما أصبح عدي بن زيد كاتب وترجمان العربية لكسرى أبرويز لم ينس صديقه الأمير النعمان بن المنذر، فهو الذي أشار على كسرى أبرويز بتوليه النعمان عرش الحيرة فأجابه كسرى على طلبه. ولكن الوشاه كادوا لعدي بن زيد عند النعمان بن المنذر وأخبروه أن عدي يدبر مؤامره ضده، فصدق النعمان تلك الوشاية وقبض على عدي بن زيد الذي جاء يزوره، وبعد ذلك قتله. ندم النعمان بعد ذلك على قتله عدى بن زيد فقيل إنه أراد أن يكفر عن فعلته فعمل على مساعدة زيد بن عدي بن زيد ليكون مكان أبيه عند كسرى أبرويز ملك الفرس، فأصبح زيد كاتباً وترجمان العربية عند كسرى وأخذ مكان أبيه. وكان زيد بن عدي يضمر الحقد للنعمان بن المنذر ويريد الانتقام منه، فما زال يوغر صدر كسرى على النعمان حتى نجح، فطلب كسرى من النعمان الحضور إلى المدائن لمقابلته، فأدرك النعمان أن كسرى يضمر له الشر، فأودع ماله وأهله وسلاحه عند هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود الشيباني وتوجه إلى كسرى أبرويز الذي ألقى القبض عليه وأدخله السجن، وذكر أنه مات في سجنه، وفي رواية أنه رمى تحت أرجل الفيلة حتى مات[3]. وقيل أن السبب الذي حمل كسرى أبرويز على قتله للنعمان يعود إلى أن النعمان لم يتمكن من تأديب القبائل العربية التي كانت تهاجم مملكة الحيرة وحدود الدولة الساسانية، كما أنها كانت تهاجم وتتحرش بالقوافل التجارية التي كانت تتاجر بين بلاد فارس وبين الحجاز واليمن، لذلك رأى كسرى أن يستبدل النعمان بن المنذر برجل عربي آخر، أو بأحد قادة جيوش الفرس وذكر أن السبب يعود إلى أن كسرى سمع أن النعمان بن المنذر أخذ يفاوض سادة القبائل الكبار لإرضائهم وضمهم إليه، وبالطبع كان هذا العمل فيه تهديد لمصالح الدولة الساسانية ومحاولة للإبتعاد عن نفوذهم فقضى كسرى ابرويز على النعمان وعلى الأسرة الحاكمة في الحيرة قبل أن يتمكن من تحقيق هدفه[4].

---

(1) تاريخ الطبري: ١٤٧/٤.
(2) جود علي: المفصل- ١٦١/٣-١٦٢.
(3) تاريخ الطبري: ١٤٧/٤-١٥٢؛ المسعودي: مروج الذهب، ص٧٦٧٨.
(4) جواد علي: المفصل- ١٦٣/٤.

وهناك من يذكر أن الروايات تروي أن النعمان بن المنذر كان وثنياً يتعبد العزى ويقدم الأضاحي للأوثان ولكنه غير دينه واعتنق النصرانية في عام ٥٩٣م وذلك بعد أن نجحت الكنسية النسطورية في شفائه من مرض ألم به، ولا شك أن لنشأة النعمان في حجر عائلة عدي بن زيد النصرانية لها أثر كبير على تأثره وميوله للنصرانية ويعتبر النعمان بن المنذر الملك الوحيد من آل لخم الذي اعتنق النصرانية ولم يسبقه أحد من ملوك الحيرة إلى الدخول في النصرانية وذلك مراضاة للفرس عبدة الأوثان، وحفاظاً على مصلحتهم السياسية. وقد علا شأن الكنيسة النسطورية في الحيرة بعد اعتناق النعمان للنصرانية وأصبح النعمان من حماه المذهب النسطوري [١].

انتهى حكم المناذرة اللخميين للحيرة بعد موت النعمان الثالث بن المنذر، وقد عين كسرى ابرويز رجلاً من طئ هو إياس بن قبيصة (٦٠٢-٦١١م)[٢] على الحيرة ولكنه لم يستطيع أن يسد الثغرة التي خلفها المناذرة في الحيرة، فلم يحبه الناس، وقاموا بحركات كثيرة ضده، فاضطر الفرس إلى إمداده بحامية فارسية تقيم بجانبه. هذا وقد ساعد إياس الفرس في حروبهم مع البيزنطيين- ولعل أشهر ما حدث في عهده هو وقعة ذي قار المشهورة في التاريخ[٣].

ذي قار كانت ماء لبكر بن وائل يقع قريباً من الكوفة بينها وبين واسط[٤]. وقد أطلق الأخباريون على معركة ذي قار عدة أسماء فهي يوم حنو ذي قار، ويوم قراقر أو حنو قراقر، ويوم الجبابات، ويوم ذي الغذوان، ويوم ذي العجرم، ويوم البطحاء أي بطحاء ذي قار[٥]. وتفصيل وقعة ذي قار تتخلص في أنه لما أراد النعمان بن المنذر ملك الحيرة أن يذهب لمقابلة كسرى أبرويز أدرك سوء مصيره لذلك أودع سلاحه وأهله وماله عند هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود الشيباني أمانة وسار إلى كسرى بالمدائن ومات هناك، فطالب كسرى بتركة النعمان بن المنذر فأخبره إياس بن قبيصة الطائي أن النعمان تركها وديعة عند بني بكر بن وائل، فأمر كسرى إياس بأن يسترد تلك الوديعة، فرفض هاني أن يسلمها، فغضب كسرى وهدد باستئصال بكر بن وائل، وسائر بكر بن وائل وهنا أشار عليه أحد أعداء بني شيبان أن ينتظر

---

(١) جواد علي: المفصل- ٢٨٤/٣-٢٨٥.

(2) Kitchen, Documentation, Part 1, P.251.

(٣) عن ذي قار، تفصيلياً- أنظر: ابن المثنى التيمي، أبي عبيدة مَعْمر: أيام العرب قبل الإسلام- جمع وتحقيق ودراسة: عادل جاسم البياتي- ط١- عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م- ص٢٤٢- ص٢٤٩.

(٤) ياقوت الحموي: معم البلدان- المجلد الرابع- بيروت ١٩٥٧م- ص ٢٩٣.

(٥) تاريخ الطبري- ١٥٢/٤ وما بعدها.

ريثما ينزل القوم ذي قار فيهاجمهم ويأخذ تلك الأمانة منهم بالقوة. فأرسل كسرى إلى بني بكر بن وائل يخيرهم بين ثلاث: الإستسلام لكسرى، أو الرحيل عن الديار، أو الحرب، فاختارت العرب الحرب. أرسل كسرى جيشاً من الفرس وعلى رأسهم الهامرز التسرى وجلابزين، كما أرسل جيشاً من الحيرة على رأسه إياس بن قبيصة، وكذلك عدداً من العرب الموالين للفرس، وقد صاحب تلك الجيوش الفيلة، وعرف عرب العراق أنها معركة مصير مع الفرس، فجمعوا شتاتهم ونظموا صفوفهم، ودارت الحرب بين الطرفين واستمرت المعارك عدة أيام وأبلى العرب فيها بلاءً حسناً وخاضوا تلك المعارك ببسالة منقطعة النظير فانتصر العرب على الفرس في ذي قار [١]. وكان هذا أول نصر للعرب على الفرس، حيث قال الرسول ﷺ عن هذا اليوم "هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ونصرت عليهم بي [٢]".

اختلف المؤرخون على الزمان الذي وقعت فيه ذي قار، فمنهم من جعلها يوم ولادة الرسول ﷺ، وقيل أنها وقعت عند منصرف الرسول ﷺ من مكة، وذكر أنها وقعت لتمام أربعين سنة من مولده ﷺ وهو بمكة، وقيل أنها كانت بعد أن هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة النبوية[٣]، وفي رواية أنها وقعت بعد معركة بدر بأشهر[٤]، وذكر أيضاً أنها وقعت والرسول، ﷺ، بمكة بعد أن بُعث[٥]. وقد أدى هذا الاختلاف بين المؤرخين القدامى حول تأريخ وقوع ذي قار إلى اختلاف المستشرقين والمؤرخين المحدثين كذلك، فقد وقعت عند بعضهم في عام ٦٠٤، أو في ٦٠٩، أو في ٦١١ ميلاديه[٦]، وهذه التأريخات كانت في فترة بعثته صلى الله عليه وسلم وقبل الهجرة إلى المدينة النبوية.

كان لإنتصار العرب على الفرس في ذي قار فألاً حسنا ونذيرا بانتهاء نفوذ الفرس على العرب، فقد أعطاهم هذا النصر ثقة عظيمة في نفوسهم وتجرأت بعدها القبائل العربية الأخرى على مهاجمة الدول الساسانية الغنية، وتمهد بذلك الطريق للفتوح الإسلامية التي لم تلبث أن اكتسحت الدولة الساسانية وقضت عليها. وقد قام ملك الفرس بعد معركة ذي قار بعزل إياس بن قبيصة

---

(١) تاريخ الطبري: ١٥٢/٤-١٥٦؛ ياقوت: المصدر السابق- ص ٢٩٣- ٢٩٤.
(٢) المسعودي: مروج الذهب- الجزء الأول- ص ٣٠٧.
(٣) ياقوت: المصدر السابق- ص ٢٩٤ .
(٤) المسعودي: مروج الذهب- ج١- ص ٣٥٧.
(٥) تاريخ الطبري: ١٥٣/٤.
(٦) جواد علي: المفصل- ٢٩٤/٣، عبد العزيز سالم: المرجع السابق- ٢٦١-٢٦٢؛ سديو ل. أ.: تاريخ العرب العام- ترجمة: عادل زعيتر- القاهرة ١٩٦٩م- ص ٣٨؛ بركلمان: المرجع السابق- ص ٢٤ .

من حكم الحيرة وعيّن مكانه حاكماً فارسياً هو أزاذابه بن ماهبيان واستمر حكمه سبع عشرة سنة، ولا تتحدث المصادر عنه بشيء [١]. وقد ذُكِرَ أن المناذرة اللخميين حاولوا استعادة سيادتهم على الحيرة، فاستغل عرب الحيرة فرصة الفتن والخلافات التي كانت تمزق الدولة الساسانية في هذه الفترة وقاموا بعزل أزاذابه وعينوا المنذر بن النعمان والملقب بالغرور ملكاً على الحيرة، وعندما بلغ المنذر خروج جيوش المسلمين لتفح العراق فزع من ذلك، وقد صادف في هذه الفترة أنه غادر الحيرة إما لأن الفرس قاموا بعزله، أو أنه قامت ثورة في الحيرة ضده، فمضى إلى البحرين ووصلها في الوقت الذي ارتد فيه أهلها من قيس بن ثعلبة ومن ربيعة عن دين الإسلام فأمروه عليهم وقد تمكن جيش المسلمين بقيادة العلاء الحضرمي من قتل المنذر الخامس بن النعمان (٦٢٨-٦٣٣م)[٢]، وفي رأي آخر أن المنذر بن النعمان هذا لم يحكم الحيرة وإنما حكم البحرين أثناء الردة، وقد حاربه المسلمون، وسقط أسيراً في أيديهم، وقيل إن المنذر أسلم على أثر ذلك وسمي نفسه المغرور بدلاً من الغرور وهو اللقب الذي عرف به قبل أن يسلم[٣].

يعتبر مقتل النعمان الثالث بن المنذر النهاية الحقيقية لحكم المناذرة اللخميين للحيرة، وقام ملوك الفرس بإلغاء نظام الإمارة العربية وولوا حكاماً فرس من قِبلهم يخضع لهم زعماء العرب، وقد استمر الحال كذلك حتى جاء خالد بن الوليد وفتح الحيرة صلحاً وذلك في زمن الخليفة أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، في عام ٦٣٣م[٤]. ويعتبر المنذر الخامس بن النعمان الذي حكم البحرين أيام الردة هو آخر ملوك آل لخم[٥].

الدولة الساسانية وعلاقتهم بالعرب الجنوبيين الغربية:

كان جنوب غرب جزيرة العرب أحد ميادين الصراع بين الدولتين الساسانية والبيزنطية، وقد سعت كل من الدولتين وبذلت كل جهودها واستعملت كافة الأساليب الدينية والسياسية والإقتصادية والعسكرية من أجل السيطرة على جنوب غرب جزيرة العرب بغرض التوسع ومنع نفوذ الدولة المعادية من

---

(١) عبد العزيز سالم: المرجع السابق- ص ٢٦٢.

(٢) عبد العزيز سالم: المرجع السابق- ص ٢٦٣ وما بعدها؛ Kitchen, Documentation, Part 1, P.251.

(٣) جواد علي: المفصل- ٣٠٠/٣ وما بعدها.

(٤) فيليب حتى: تاريخ العرب (مطول)- الجزء الأول- دار الكشاف- بيروت١٩٦١م- ص ١١٤.

(٥) جرجي زيدان: المرجع السابق- ص ٢٣٩.

الوصول إلى هناك. وقد أدرك الروم وكذلك الفرس أهمية ذلك الجزء للنواحي الإقتصادية، وكان ذلك الجزء من جزيرة العرب الأكثر أهمية للنواحي الإقتصادية عند الدولة البيزنطية وحيث كانت تجارة الروم تمر عبر أراضي الدولة الساسانية، لذلك كانت تلك التجارة مهددة بالتوقف والإنقطاع للصراع المستمر والحروب الدائمة بين الفرس والروم، لذلك حرصت الدولة البيزنطية على محاولة إيجاد طريق آخر لتجارتها يكون بعيداً عن سيطرة الساسانيين، فقررت نقل تجارتها عبر جنوب غرب الجزيرة العربية والبحر الأحمر.

هذا، مع منتصف القرن الرابع الميلادي بدأ حدوث تقارب بين الدولة البيزنطية والحبشة، وذلك حينما اعتنق ملك الحبشة الأكسومي الديانة النصرانية، فبإسم الأخوة في الدين قام الأحباش بتحريض وتشجيع من الإمبراطور البيزنطي بغزو لبلاد اليمن في عام ٥٢٥ للميلاد[١]. ويعود سبب غزو الأحباش لليمن لعدة عوامل دينية وسياسية وإقتصادية، والسبب المباشر يرجع إلى اضطهاد وتعذيب ذو النواس ملك حمير للنصارى وإحراقهم[٢]. وكانت بيزنطه هي حامية نصارى الشرق، ولكن نظراً لأن البيزنطيين لا يستطيعون القيام بعمل عسكري ضد ذو النواس، لذلك قام الأحباش، حلفاءهم، بتنفيذ تلك المهمة. ولكن هناك اعتقاد على أن السبب الحقيقي لهذا الغزو يعود إلى عوامل إقتصادية -سياسية، فالدولة البينزنطية كانت تسعى جهدها في السيطرة على الطرق التجارية التي توصل إلى المحيط الهندي مروراً بالبحر الأحمر، وبالتالي تستطيع بسط نفوذها السياسي على جنوب بلاد العرب فتقطع الطريق على أعدائهم الفرس لأي محاولة للتوسع وبسط نفوذها على تلك المنطقة مستقبلاً. وكان هدف الحبشة في الواقع هو تأديب الحميريين لمهاجمتهم الأساطيل التجارية في البحر الأحمر، فالسبب الظاهري لهذه الحملة هو ديني ولكنه إقتصادي - سياسي في حقيقته[٣].

أرسل نجاشي الحبشة جيشاً مكوناً من سبعين ألفاً من الأحباش بقيادة أرياط ويصحبه أبرهة الأشرم، وقد استطاع الأحباش بقيادة أرياط هزيمة ملك حمير ذي النواس ودخلوا اليمن واحتلوها[٤]. وقيل أن أرياط حكم اليمن عشرين سنة حتى قام أبرهة الأشرم أبو يكسوم فقتل أرياط وحكم اليمن[٥].

---

(١) جرجي زيدان: المرجع السابق- ص ١٤٧؛ جواد علي: المفصل- ٤٨١/٣.
(٢) جرجي زيدان: المرجع السابق- ص ١٤٧-١٤٨.
(٣) عبد العزيز سالم: المرجع السابق- ص ١٣١.
(٤) تاريخ الطبري: ١٠٦/٤ وما بعدها.
(٥) المسعودي: مروج الذهب- الجزء الثاني- ص ٥٢.

هناك من يذكر أنه بعد احتلال الأحباش لليمن نصب نجاشي الحبشة أحد نصارى حمير وهو السميفع أشوع ملكاً على اليمن على أن يدفع إلى الأحباش الجزية سنوياً[١]، ويبدوا أن السميفع أشوع حكم اليمن فترة من الزمن لم تكن طويلة، ومن ثم أصبح بعدها أبرهة الأشرم حاكماً على اليمن[٢]. وفي رواية أنه في عام ٥٣١م قام الجنود الأحباش الذين بقوا في اليمن بثورة على السميفع أشوع وعين في مكانه أبراهام (أبرهة)، وهو عبد مسيحي كان يملكه تاجر يوناني، فغضب نجاشي الحبشة من ذلك وحاول القضاء على هذه الثورة، ولكن الهزائم المتتالية التي لحقت بقواته اضطرته إلى أن يتقبل ذلك الوضع، وبعد موت النجاشي أسرع أبراهام إلى عقد الصلح مع خليفته وعقد معه اتفاق على دفع الجزية سنوياً في مقابل اعتراف النجاشي الجديد بأبرهة نائباً له في اليمن [٣].

لتوطيد حكمه على اليمن قام أبرهة بالقضاء على الثورات التي قامت ضده، فقضى على ثورة يزيد بن كبشه، وكذلك على عصيان الأقيال الذين انضموا إلى ثورة يزيد بن كبشه ورفضوا الخضوع لحكم أبرهه بعد هزيمة يزيد وخضوعه لحكم أبرهه [٤]. كما اهتم بإصلاح البلاد، حيث قام بإصلاح وترميم وتعمير سد مأرب، الذي تصدع وذلك في عام ٥٤٢م، وكذلك في عام ٥٤٣م، وقد جند لهذا العمل عمالاً من اليمن وصرف على ذلك مبالغ طائلة. وقد احتفل أبرهه بإصلاح سد مأرب وحضر هذا الإحتفال مندوبين من كافة الدول، وقد سجلت أخبار هذا الاحتفال بإصلاح السد في نقش اكتشف في السنين الأخيرة، ويتألف من ١٣٦ سطراً ومن حوالي ٤٧٠ كلمة[٥]. ولهذا النقش أهمية كبرى في شرح أحوال هذه الفترة من تاريخ حكمه لليمن.

---

(١) جواد علي: المفصل- ٤٧٢/٣؛ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العربي القديم- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض ١٣٩٧هـ/١٩٧٧- ص ٣٧٥ ما بعدها؛ عبد العزيز سالم: المرجع السابق- ص ١٣٤ وما بعدها؛ جرجي زيدان: المرجع السابق- ص ١٥٠.

(٢) عبد العزيز سالم: المرجع السابق- ص١٣٦.

(٣) جواد علي: المفصل- ٤٧٢/٣؛ محمد بيومي مهران: المرجع السابق- ص ٣٧٦.

(٤) محمد عبد القادر بافقيه: في العربية السعيدة- دراسات تاريخية قصيرة- مركز البحوث اليمني- صنعاء ١٩٨٧م- ١٩٦/٢.

(٥) نقش C1H541- تفصيلياً- أنظر: أسمهان سعيد الجرو: التاريخ السياسي لجنوب شبه الجزيرة العربية اليمن القديم- مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية- أربد- الأردن- ١٩٩٦م- ص٢٩٩- ص٣٠٥.

قَدِمت الوفود من مختلف البلاد لتهنئة أبرهه ولتشاركه في احتفالاته وهو مقيم في مأرب، فَقَدِمت وفود نجاشي الحبشة، ووفود ملك الروم، ورسل من بلاد فارس، ومن المناذرة في الحيرة، ومن الحارث بن جبلة الغساني وغيرهم من رؤساء القبائل، وذلك تقدير لأبرهة وأهمية موقع دولته عند باب المندب الذي يسيطر على البحر الأحمر، والمحيط الهندي. كانت مهمة هذه الوفود في الحقيقة هي محاولة استمالة أبرهه إلى معسكر الروم وحلفاؤهم الغساسنة والأحباش، وإلى معسكر الفرس وحلفائهم المناذرة. إنها صورة أخرى من صور الصراع المستمر بين الدولة الساسانية وحلفائها من جهة، وبين الدولة البيزنطية وحلفائها من جهة أخرى. كان الروم يبذلون كل جهودهم ويسخرون كل قواهم السياسية للسيطرة على جزيرة العرب وإبعادها من سيطرة الفرس أو من يميل إليهم وقد عمل الفرس أيضاً كل جهودهم على تحطيم كل جهة تميل إلى الروم، وعملوا على منع سفنهم من الدخول إلى البحر الهندي لغرض التجارة مع بلاد العرب. حتى الدين استغل كوسيلة في هذا الصراع، فالروم سعوا إلى نشر النصرانية في الجزيرة العربية وذلك بإرسالهم المنصّرين، كما حرضوا الأحباش إخوانهم في الدين على نشر النصرانية هناك. وقد قام الفرس رداً على ذلك بنشر المذاهب النصرانية المعارضة لمذهب الروم والأحباش، كما قاموا بتأييد نشر اليهودية التي كانت معارضة للديانة الرسمية البيزنطيين والأحباش. وقد فكر البيزنطيون في الإستفادة من أبرهة بحكم موقع دولته وقوته ومكانته في تنفيذ خططهم السياسية الرامية إلى بسط نفوذ الروم على بلاد العرب ومكافحة الدولة الساسانية فحاول قيصر الروم جستنيان تكوين حلف يضم الحبشة واليمن لمحاربة الفرس والإضرار بمصالحهم في جنوب غرب الجزيرة العربية، فأخذ في التودد إلى أبرهة لمهاجمة الفرس، وقد وافق أبرهة على ذلك وأخذ في مهاجمة الفرس والإغارة عليهم [١].

هذا، ولم تذكر هنا المواضع التي هاجم أبرهة وأغار فيها على الفرس، وربما كانت حملة أبرهة على مكة بسبب سلوك تلك الحملة العسكرية للطرق البرية للقوافل التي تصل إلى الشام مروراً بمكة وذلك في طريقه بحملته متجهاً لمهاجمة بلاد فارس [٢]. بمعنى أن أبرهة لم يكن يقصد مكة بالذات وإنما كان قصده مهاجمة حدود الدولة الساسانية سالكاً طرق القوافل التجارية التي تمر بمكة، ولكن الواقع وحقيقة الحملة العسكرية لأبرهة كان هدفها مكة وهدم الكعبة.

---

[١] جواد علي: المفصل- ٣/٤٨٩-٤٩٢.

[٢] عبد العزيز سالم: المرجع السابق- ص ١٤٣.

انصرف أبرهة إلى نشر النصرانية ومحاربة الأديان الأخرى في بلاد العرب الجنوبية، واهتم ببناء الكنائس، وأهم هذه الكنائس كانت القليس التي بناها في صنعاء. وقيل أن هدفه من بناء هذه الكنيسة المشهورة كان لصرف الحجيج من مكة إلى صنعاء. مما يعود عليه- اليمن- من نفع مادي وسياسي وديني، وقد جرد أبرهة حملة عسكرية تحت قيادته للإستيلاء على مكة وذلك في عام الفيل، وقد عرفت تلك الحادثة بحادثة الفيل، وهي التي ورد ذكرها في سورة الفيل بالقرآن الكريم[١]. ولكن حملة أبرهة فشلت فشلاً ذريعاً، وعادت مدحورة بعد إصابة جميع أفرادها بمرض فتك بهم سببته الحجارة التي كانت تلقيها طيور الأبابيل.

أجمع المؤرخون على أن مولد الرسول ﷺ كان في عام الفيل[٢]، وإذا كان صحيحاً من أن مولده كان في عام ٥٧١ للميلاد [٣]، فإن حملة أبرهة بذلك تكون قد حدثت في عام ٥٧١ ميلادية. وقد مات أبرهة بعد فشله الذريع للإستيلاء على مكة وخلفه على الحكم إبنه يكسوم الذي اتبع سياسه استبدادية وظالمة في حكمه لليمن. وبعد موت يكسوم تولى أخيه مسروق الحكم على اليمن وكان أكثر تعسفاً وظلماً من والده وأخيه في أسلوب حكمه. وفي عهد مسروق انتهت سيطرة واحتلال الأحباش لليمن، حيث تمكن الفرس من طرد الأحباش من اليمن، وقتل مسروق بن أبرهة. وقد استمر حكم الأحباش لليمن أثنين وسبعون سنة حكم فيها أربعة من الملوك الأحباش وهم أرياط، ثم أبرهة [٤]، ثم يكسوم بن أبرهة ثم أخيه مسروق بن أبرهة. وذكر أن حكم الأحباش لليمن دام نحو مائتي سنة وفي رواية

---

(١) انظر التفاصيل عن هذه الحملة في تاريخ الطبري- المصدر السابق- ص ١١٠-١١٥؛ المسعودي: مروج الذهب- ص٥٣-٥٤-١٠٤-١٠٥؛ جواد علي: المفصل- ٥٠٧/٣ وما بعدها؛ تفصيلياً- أنظر: سميرة بنت سعيد القحطاني: "حملة أصحاب الفيل على مكة خلال القرن السادس الميلادي"، رسالة ماجستير (غير منشورة)- قسم التاريخ والحضارة- كلية التربية (الأقسام الأدبية)- الرئاسة العامة للبنات- الرياض ١٤٢٢هـ؛ رياض هاشم النعيمي: "حملة أبرهة الحبشي إلى مكة: أهدافها ونتائجها (دراسة نقدية)"- مجلة آفاق الثقافة والتراث- قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية- مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث- دبي- الإمارات العربية المتحدة- السنة العاشرة- العدد السابع والثلاثون- المحرم ١٤٢٣هـ/نيسان (أبريل) ٢٠٠٢م- ص٦- ص١٤.

(٢) الطبري- المصدر السابق- ص١٢٤ وما بعدها، المسعودي- المصدر السابق- ص ٢٦٨.

(٣) محمد بيومي مهران- المرجع السابق- ص ٥٩٥.

(٤) الطبري- المصدر السابق- ص ١١٥، المسعودي- المصدر السابق، ص ٥٧.

قرابة نصف قرن (٥٢٥م- ٥٧٥م)، بينما يرى العلماء المحدثون أن حكمهم دام أكثر من سبع وأربعين سنة (٥٢٥م- ٥٧٢م) [١].

اتبع كل من يكسوم وأخيه مسروق سياسة استبدادية وتعسفية ظالمة أدت إلى نفور أهل اليمن من حكم الأحباش، ورغبتهم في التخلص من حكم المستبد، وقد أدى تدهور الحالة الإقتصادية في اليمن، حيث تحولت طرق التجارة عن اليمن، وازداد استعمال الطرق البحرية التي كان يسيطر عليها الهنود والمصريون والرومان، ففقدت بذلك اليمن مركزها التجاري. كذلك أدى انهيار سد مأرب إلى إتلاف الكثير من الأراضي الزراعية، مما أدى إلى زيادة تدهور الحالة الإقتصادية في اليمن. لقد تفاعلت رغبة اليمنيون في التخلص من الإحتلال الحبشي مع تدهور الحالة الإقتصادية في اليمن لخلق الأجواء الملائمة لقيام الثورات ضد الإستعمار الحبشي، فقامت الثورة تلو الأخرى، ولكن دون نتيجة، حتى جاءت الفرصة في زعيم وطني من حمير يقال له سيف بن ذي يزن وكنيته أبا مرة وهو معد يكرب بن أبي مرة[٢].وقد عقد سيف بن ذي يزن العزم على تخليص اليمن من حكم الأحباش وتحرير بلاده من الإستعمار.

أدرك سيف بن ذي يزن أنه لا تتوفر لديه القوة العسكرية لطرد الأحباش من اليمن فقد كان يحتاج إلى معونة خارجية وأجنبيه لتحقيق رغبته، لذلك لجأ إلى القوتين المتنافستين وهما الدولة البيزنطية والدولة الساسانية لمساعدته عسكرياً لتحرير اليمن من سيطرة الأحباش. قصد سيف بن ذي يزن في بداية الأمر قيصر الروم طالباً العون والمساعدة، في مقابل وعده لقيصر الروم بسيطرة البيزنطيين على اليمن إقتصادياً وسياسياً متى تحقق له طلبه ورغبته في تحرير اليمن من الإستعمار الحبشي. وذكر أن سيفاً ظل عند قيصر الروم سبع سنين، ولكنه خرج بدون أي نتيجة حيث رفض قيصر الروم مساعدته وقال لسيف. "أنتم يهود والحبشة نصارى، وليس في الديانة أن ننصر المخالف على الموافق"[٣].ولعل سبب رفض قيصر الروم مساعدة سيف بن ذي يزن يعود إلى أنه كانت تربط البيزنطيين بالأحباش روابط دينية، فهم أخوة في الديانة النصرانية، كذلك كانت تربطهم بالأحباش روابط سياسية وإقتصادية تجعلهم يتمتعون بامتيازات كثيرة في المنطقة وهي لن تزيد في حالة مساعدة قيصر الروم لسيف بن ذي يزن لتحرير اليمن من الأحباش[٤].

---

(١) محمد بيومي مهران- المرجع السابق- ص ٣٨٢.
(٢) نفس المرجع السابق- ص ٢٨٣.
(٣) المسعودي: مروج الذهب- ص ٥٥.
(٤) عبد العزيز سالم: المرجع السابق- ص ١٤٥.

هذا، ولا ندري ما هي الأسباب التي دفعت سيف بن يزن إلى اللجوء لقيصر الروم طلباً للمساعدة. فسيف بن ذي يزن يبدوا أنه كان على اليهودية بنص قيصر في حديثه "أنتم اليهود"، والأحباش كانوا على النصرانية، والعداء بين اليهود والنصارى كان قائماً في تلك الفترة، فكيف إذا يساعد قيصر الروم النصراني سيف بن ذي يزن اليهودي على القضاء على الأحباش النصارى وأخوة الروم في الدين؟ لقد نسي سيف بن ذي يزن أن إحتلال الأحباش لليمن في عام ٥٢٥ ميلادية كان بمباركة وتشجيع وتحريض من قيصر الروم لنجاشي الحبشة النصراني على إرسال جيشه لغزو اليمن إنتقاماً من اضطهاد ذو النواس اليهودي للنصارى في اليمن. خلافاً للروابط الدينية والسياسية والإقتصادية التي كانت تربط الروم بالأحباش، وبصرف النظر علن الإمتيازات التي كانت تحظى بها الدولة البيزنطية هناك، فإن قيصر الروم ما كان سيرسل أي قوة عسكرية لمساعدة سيف بن ذي يزن في تحرير اليمن من الإستعمار، لأنه لم تكن لدى الدولة البيزنطية القوة البرية الكافية، ولم يكن أسطولهم في البحر الأحمر قوياً، بدليل منافسة المصريون لهم هناك، وذلك للقيام بعمل عسكري في اليمن، فالمسافة بعيدة بين اليمن وبيزنطة ولقد تعلم الروم من تاريخ تجاربهم السابقة أن الجوع والعطش يفتك بالجيش في الصحراء، وأن القبائل لا يمكن الوثوق بها والإطمئنان بتبعيتها وإخلاصها لهم. أن لقيصر الروم ذاكرة لا تزال تذكر فشل محاولة الإسكندر الأكبر للسيطرة على بلاد العرب الغربية، وكذلك فشل القيصر أوغسطس للوصول إلى بلاد العرب الجنوبية الغربية. فكيف يغامر بإرسال جيش الروم لتحرير اليمن في مقابل امتيازات كان يتمتع بها أصلا.

وعلى أية حال، عندما فشل سيف بن يزن في الحصول على أي عون أو مساعدة من قيصر الروم اتجه إلى القوة المنافسة للدولة البيزنطية وهي الدولة الساسانية وكان ملكها في ذلك الوقت كسرى أنوشروان. ولعله مما يثير التساؤلات أن سيف بن ذي يزن لم يطلب العون والمساعدة من الفرس لتحرير اليمن من الأحباش قبل أن يطلبها من الروم، خصوصاً إذا عرفنا أن والد سيف بن ذي يزن وهو أبو مرة ذي يزن قد فر من اليمن ولجأ إلى ملك الحيرة عمرو بن هند (٥٥٤- ٥٦٩م). حليف الفرس وذلك بعد أن انتزع منه أبرهه الحبشي زوجته "ريحانه" أم ولده سيف. وقد أكرم عمرو بن هند ذي يزن هذا كما أنزله كسرى وأحسن إكرامه [١]. إذا كانت هناك علاقة بين والد سيف بن ذي يزن مع الفرس والمناذرة وكانت له سابق معرفة بهم، فكان من الطبيعي أن يفكر في طلب المساعدة من الفرس قبل الروم لتحرير اليمن من الأحباش، بالإضافة إلى

---

[١] تاريخ الطبري: ١١٧/٤-١١٨.

ذلك هناك عوامل أخرى تجعل من تحقيق طلبه للعون والمساعدة أمراً ممكناً، فالأحباش حلفاء الروم وهم بالتالي أعداء للفرس، كذلك الروم والأحباش يدينون بنفس الديانة وهي النصرانية، بينما كان الفرس على الوثنية وأعداء للأديان الأخرى. وكان الفرس يعملون- كما ذكرنا- كل جهدهم على تحطيم كل جهة تميل إلى الروم وتؤيد وجهة نظرهم، أضف إلى ذلك أن موقع اليمن من الناحية الجغرافية مهم جداً في التحكم بمدخل البحر الأحمر والمحيط الهندي ووقوعه تحت حكم حليف للدولة البيزنطية يمنح الروم نفوذاً وامتيازات أكبر في تلك المنطقة، وأخيراً أن وجود حليف للفرس معاد للأحباش والروم في اليمن يعطي الفرس فرصة أكبر إلى توجيه ضربة قوية لنفوذ الروم وسيطرتها على طرق التجارة مع الشام. لهذه الأسباب والعوامل كان من الأجدى لسيف بن ذي يزن التوجه أولا إلى الفرس طلباً للعون والمساعدة في تحرير اليمن من الإستعمار الحبشي قبل التوجه إلى الروم.

مضى سيف بن ذي يزن إلى النعمان بن المنذر (٥٨١-٦٠٢م) ملك الحيرة وحليف الفرس شاكياً وطالباً منه التوسط له لدى كسرى أنوشروان وتقديمه ليطلب منه العون والمساعدة. عرض سيف بن ذي يزن موضوعه على كسرى واستمع إليه كسرى، وبعد استشارة وزرائه وافق على تقديم العون والمساعدة لسيف بن ذي يزن، لكي يحرر اليمن من حلفاء البيزنطيين، الأحباش. أرسل كسرى حملة عسكرية محمولة بالسفن إلى اليمن يقودها ضابط فارسي يدعي وهرز وما إن وصلت تلك الحملة إلى اليمن حتى انضم إليها الكثير من اتباع وأنصار سيف بن ذي يزن، فدارت معارك بين الأطراف، وقد انتهت تلك المعارك بهزيمة الأحباش واتباعهم، ولقى مسروق بن أبرهه حتفه في المعركة، ودخل وهرز صنعاء، وضبط اليمن، ونفى الأحباش منها، ثم عاد إلى فارس بأمر من كسرى وترك حكم اليمن لسيف بن ذي يزن مقابل أن يدفع الجزية والخراج في كل عام إلى الفرس [١].

وعلى أية حال، فقد نجح أهل اليمن في تحرير بلادهم من الإحتلال الحبشي، وقد اقتنع الفرس بإقامة حكومة وطنية في اليمن تدين لهم بالتبعية، وأصبح سيف بن ذي يزن ملكاً على اليمن في عام ٥٧٥م، وذكر أن حكمه لم يشمل كل أنحاء اليمن، وإنما كان هناك بعض الفرس يشاركون في حكم اليمن منذ حوالي عام ٥٩٨م، وهكذا لم يفعل سيف بن ذي يزن سوى أن استبدل الإستعمار الحبشي بالإستعمار الفارسي [٢].

---

[١] تاريخ الطبري: ٤/١١٥-١٢٠.

[٢] محمد بيومي مهران: المرجع السابق- ص ٣٨٦- ٣٨٧.

هذا، ولم يقض سيف بن ذي يزن على كل الأحباش في اليمن وإنما بقي بعضاً منهم فيها، وقد انتهج سيف بن ذي يزن معهم سياسة قاسية وعنيفة، وبالغ في اضطهادهم، وقد اتخذ بعضهم عبيداً لحراسته وخدمته. وكانت سياسته تلك قد أثرت في نفوس هؤلاء الأحباش، لذلك فحينما جاءت لهم الفرصة المناسبة قاموا وقتلوا سيف بن ذي يزن، فذهب ضحية سياسته التي اتبعها مع الأحباش المتبقيّن في اليمن. عندها أسل كسرى قائده مرة أخرى إلى اليمن، فاستأصل وهرز شأفة الأحباش من اليمن وقضى على كل من بقي منهم. ثم حكم وهرز اليمن وخلفه من بعده أبنائه وأحفاده حتى بُعث الرسول ﷺ، ودخل باذان ملك اليمن وحفيد وهرز في الإسلام [١].

كان هدف الفرس من مساعدة سيف بن ذي يزن هو تحقيق حلم الفرس في السيطرة على طرق التجارة عبر البحر الأحمر، بالإضافة إلى القضاء على نفوذ الروم الإقتصادي والسياسي والديني في اليمن. وبعد أن تم طرد الأحباش من اليمن طمع الفرس في حكم اليمن لأهمية موقعه من النواحي الإقتصادية والتحكم في التجارة الدولية في ذلك الوقت، وربما أحس سيف بن ذي يزن بتدخل الفرس في شؤون اليمن، فأخذ يعد العدة للتخلص منهم كما تخلص من الأحباش من قبل، ولأن الفرس أدركوا نيته وخطته لذلك فإنه من الممكن أنهم هم الذين تأمروا عليه وشجعوا حراسة الأحباش على قتله لكي يتخلصوا منه، ويعطي الفرس بذلك الفرصة المناسبة لضم اليمن إلى الدولة الساسانية [٢]. وقد تم للفرس ذلك ودخلت اليمن تحت نفوذ الفرس وظلت تحت حكمهم حتى مبعث الرسول ﷺ في بداية القرن السابع الميلادي.

في حقيقة الأمر، دخل الإسلام إلى اليمن في السنة السادسة من الهجرة وذلك حينما دخل ملك اليمن الفارسي باذان في الإسلام، فقضى الإسلام بنوره على اليهودية والوثنية والمسيحية في اليمن، كما حرر اليمن من الحكم الأجنبي سواءً كان فارسياً أو حبشياً فيما بين عام ٦٢٨ م و٦٣٠ ميلادية وكان إسلام باذان في عام ٦٢٨ ميلاديه [٣].

---

[١] تاريخ الطبري: ١٢٠/٤- ١٢١.
[٢] عبد العزيز سالم: المرجع السابق- ص ١٥٠.
[٣] جواد علي: المفصل- ٥٢٨/٣.

الدولة الساسانية وعلاقتهم بالخليج العربي:

يعتبر الخليج العربي إمتداد طبيعياً وجزءاً من الجزيرة العربية، وقد استقرت في الخليج قبائل عربية من قضاعة، وربيعة، وإياد، والأزد من كهلان وللخليج أهمية كبرى من حيث موقعه بالنسبة للدولة الساسانية حيث يقع في جنوب حدود هذه الدولة الكبرى في ذلك الوقت. وقد كانت السفن المحملة بالحرير الصيني وغيره من البضائع مثل العطور والقطن والتوابل القادمة من الشرق تمر عبر الخليج ومنه تحمل إلى سفن أخرى لتمر عبر دجلة والفرات إلى حدود الروم [١]. لذلك كان من الطبيعي أن تكون قد قامت علاقات- أياً كان نوعها- بين الخليج وسكانه بالدولة الساسانية، ولكن من المؤسف أن معلوماتنا عن تلك الفترة ضئيلة ومحدودة، فهي قد لا تزيد عن سطور في المصادر والمراجع التاريخية.

هذا، ولقد ذُكِرَ أن العرب كانوا قد وجدوا في بلاد فارس قبل قيام الدولة الساسانية، وربما نزح العرب الذين كانوا يسكنون على ساحل الخليج في البحرين وكاظمة والخط وعمان إلى السواحل المقابلة وهي السواحل الجنوبية من أرض فارس، كذلك نزحوا إليها من مملكة ميسان واتجهوا شرقاً حتى عيلام (خوزستان)[٢] ثم إلى الأجزاء الجنوبية من فارس، وقد كتب كورتيوس روفوس الذي عاش مع بداية القرن الثالث الميلادي ما مفهومه أن العرب كانوا إذ ذاك في كرمان وفي فارس. ولا بد أن يكون وجودهم في هذه الأماكن قبل القرن الثالث الميلادي بزمن طويل[٣].وقد استغل هؤلاء العرب المنازعات الداخلية بين ملوك الطوائف الفرس وبسطوا سلطانهم ونفوذهم على السواحل الجنوبية من بلاد فارس. وكان أول ما فعله أردشير الأول (٢٢٥-٢٤١م). مؤسس الدولة الساسانية أن حارب هؤلاء العرب ليقضي على الإقطاع والإمارات التي تعددت في تلك الفترة كنتيجة لضعف الحكومة، فتغلب على العرب في كرمان واخضعهم لحكمه، ثم سار لقتال ملك الأهواز، فهزم ملكها في معركة حاسمة واستولى على ولايته، ثم اتجه إلى ميسان، وكان حاكمها عربياً، فاستولى عليها، وبذلك تم لأردشير الأول إخضاع العرب الذين سكنوا المناطق الجنوبية من بلاد فارس لحكم الدولة الساسانية[٤]، ولحماية الحدود الجنوبية لبلاد فارس والتي تقع على الخليج من التعرض للغزو والهجوم، كما قام أردشير الأول بإنشاء عدة

---

(١) جواد علي: المفصل- ١٦٩/٤.

(٢) خوزستان هي إقليم الأخواز أو الأهواز وتعرف خوزستان بإسم عربستان أيضاً (انظر جواد علي: المفصل- ٤٨٦/٤).

(٣) نفس المرجع السابق- الجزء الثاني- ص ٦٣٨.

(٤) جواد علي: المفصل- ٦٣٣/٢.

موانـي بحرية ونهرية للقيام بتلك المهمة[١].

لقد ذُكر أن أردشير كان قد بنى مدينة بالبحرين سماها بتن أردشير وقد أطلق عليها هذا الاسم..."لأنه بني سورها على جثث أهلها، لأنهم فارقوا طاعته، وعصوا أمره، فجعل سافا من السور لبنا، وسافا جثثا، فلذلك سماها أردشير"[٢]. وجاء ذكر بناء هذه المدينة من ضمن الأعمال التي قام بها أردشير الأول خلال حكمه. ويفهم من الرواية، التي يبدوا أن فيها الكثير من المبالغة والخيال، كان أردشير الأول قد استولى على البحرين، كما أن ساحل عمان أيضاً كان تابعاً للفرس في أيام حكمه[٣]، وقيل أيضاً أن أردشير هذا كان قد بنى مدينة في البحرين سماها فا أردشير وهي مدينة الخط [٤]. والخطّ، بضم الخاء وتشديد الطاء، هي خط عبد القيس بالبحرين وهو كثير النخل [٥]. ويبدوا أنه بعد أن قضى أردشير على نفوذ العرب الذين سكنوا المناطق الجنوبية من بلاد فارس، وبعد أن أنشأ المواني العديدة على الأنهار والبحار، أصبح من الممكن لأردشير أن يركب البحر ويستولى على البحرين وعمان.

هذا، ولقد أشتهر من ملوك الحيرة امرؤ القيس بن عمرو بن عدي (٢٨٨-٣٢٨م) وهو الملقب بالبدء، وقد عاصر من ملوك الفرس بهرام الثالث، ونرسي بن بهرام، وهرمز بن نرسي، وسابور ذي الأكتاف. وكان له نفوذاً واسعاً وقد عمل للفرس على خراج العرب من مضر وربيعة وسائر من في بادية العراق والحجاز والجزيرة [٦]. واستطاع ملك الحيرة أن يخضع قبيلتي أسد ونزار، ويهزم قبيلة مذحج، ويخضع معد ويوزع أبناءه بين القبائل، ووصل بتوسعاته حتى أسوار نجران وأخضع معظم أنحاء الجزيرة العربية لحكمه [٧]. وكان امرؤ القيس يطمع في تأسيس مملكة عربية كبيرة تكون مستقلة عن الدولة الساسانية، وعندما توفى هرمز الثاني بن نرسي في عام ٣٠٩م، كان سابور، الذي لقب بذي الأكتاف، لا يزال في بطن أمه، وحينما ولد بايعته الفرس ملكاً على فارس وهو مازل طفلاً، فاختلت أحوال وشؤون الدولة الساسانية وطمع

---

(١) جورج فضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي- ترجمة: يعقوب بكر- مكتبة الانجلو المصرية- القاهرة ١٩٥٨م- ص ٩.

(٢) الأصفهاني، حمزة بن الحسن: تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء- بيروت ١٩٦١م، ص ٤٤.

(٣) جواد علي: المفصل- ٦٣٤/٢.

(٤) تاريخ الطبري: ٥٨/٢.

(٥) ياقوت الحموي: المصدر السابق- المجلد الثاني- ص ٣٧٨.

(٦) تاريخ الطبري: ٦٤/٤.

(٧) جواد علي: المفصل- ١٩٠/٣ وما بعدها.

فيها جيرانها، وقد استغل امرؤ القيس تلك الفرصة في التوسع والسيطرة على القبائل العربية لتحقيق هدفه في تأسيس مملكة عربية، وقد أوعز إلى بني عبد القيس وبكر بن وائل وتميم، الذين كانوا يسكنون في البحرين، بمهاجمة سواحل بلاد فارس فاجتاحوا، بعد أن عبروا الخليج، المناطق الجنوبية لبلاد فارس وعاثوا فيها فساداً. ولما بلغ سابور من العمر ست عشر عاماً تولى أمور الدولة الساسانية، وأول ما بدأ بإصلاح الأحوال والأوضاع الداخلية للدولة، ثم تطلع إلى استرجاع حدود الدولة الساسانية التي بناها أسلافه، لذلك وجه جيوشه أولاً ضد العرب ففتك بهم وقتل الكثير منهم، واجتاز سابور الخليج واتجه إلى البحرين وأسرف في قتل العرب في الخط والهجر[١]. وذُكر أن سابور ذو الأكتاف (٣٠٩ - ٣٧٩م) قد سار إلى البحرين وكان فيها يومئذ بنو تميم ففتك بهم، ففر من وجهه من استطاع الفرار فأراد سابور اللحاق بهم، ولكن سيد بني تميم عمرو بن تميم بن مر تحدث إلى سابور بالود ولاطفه حتى اقتنع بالكف عن من تبقى من بني تميم، وتركهم وشأنهم[٢]. ولعل السبب الذي دعا سابور إلى الفتك بالعرب هو توغل القبائل العربية في جنوب بلاد فارس وازدياد عددهم ونفوذهم حتى صاروا يتدخلون في أمور الدولة الساسانية الداخلية، فبدأ بضرب تلك القبائل العربية ليقضي على سلطانها. وكان سابور ذي الأكتاف على رأس الأسطول الذي نزل البحرين للإنتقام من العرب الذين كانوا يهاجمون سواحل دولته الجنوبية والتي تطل على الخليج[٣]. وقد ورد الخط وقتل من بلاد البحرين الكثير من الخلق، كما أمعن القتل في هجر وكان يسكنها الكثير من أهل اليمامة [٤]. وذكر- كما سبق- أن سابور إنما لقب بذي الأكتاف لأنه خلع الكثير من أكتاف العرب[٥].

اتبع سابور سياسة قديمة معروفة كانت تستعملها الحكومات كأسلوب في تأديب القبائل، فكان الآشوريون ينقلون القبائل من مواطنها إلى مناطق جديدة تكون بعيدة عن مواطن القبيلة القديمة، وقد أجلى سابور بعض عشائر تغلب إلى البحرين، حيث أنزلهم دارين، وهي هيج. كما أنزل عشائر أخرى الخط، كذلك نقل بعض عشائر بكر بن وائل إلى كرمان وأبان فعرفوا ببكر أبان،

---

(١) عبد الله بن خالد الخليفة، عبد الملك الحمر: البحرين عبر التاريخ- الجزء الأول- البحرين ١٩٨٢م- ص١٠٢-١٠٥.

(٢) المسعودي: مروج الذهب- ٢٨١/١ وما بعدها.

(٣) جورج حوراني: المرجع السابق- ص ٩١.

(٤) تاريخ الطبري: ٦٧/٤.

(٥) نفس المصدر السابق، المسعودي: مروج الذهب- ص٢٨٠.

وأسكن بني حنظلة الرملية الأهواز (خوزستان)[١].

من المرجح أن حكم الدولة الساسانية للبحرين لم يكن حكماً مباشراً إلا في بعض الفترات من التاريخ، وإنما كان يخضع لنفوذ اللخميين المناذرة وهم اتباع للدولة الساسانية[٢]، وذكر أن ملك الحيرة عمرو بن هند (٥٥٤م- ٥٦٩م)، حينما أراد التخلص من طرفة بن العبد وحليفه الملتمس، كتب إلى عامله في البحرين ليقتلهما، وقيل أن البحرين في ذلك الوقت كانت تابعة لملك الحيرة، وكان حاكمها وهو أبو كرب ربيعة بن الحرث عاملاً لعمرو بن هند على البحرين، وعندما رفض أبو كرب قتل طرفة بن العبد، لأنه من قرابته، عزله عمرو بن هند وعين مكانه عاملاً آخر قيل أنه المكعبر الذي قتل طرفة بأمر من عمرو بن هند، وذكر أن المكعبر كان عامل عمرو على عمان والبحرين، وأن قبر طرفة في هجر بالبحرين [٣].

هذا، وعندما ظهر الإسلام في الجزيرة العربية كان يحكم البحرين رجلاً من العرب وكان يدين بالنصرانية على مذهب النساطرة، وكان يسكن البحرين أقليات من اليهود والمجوس إلى جانب العرب الذي كان معظمهم على الوثنية، فجاء الإسلام إلى البحرين في السنة السادسة من الهجرة (٦٢٨م) على يد القائد المسلم العلاء بن الحضرمي ليحرر البحرين والخليج العربي من نفوذ وسلطان الدولة الساسانية الفارسية والتي جاءت نهايتها على يد المسلمين، حيث قتل يزدجرد الثالث آخر ملوكها في خراسان على زمن خلافة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، عام ٣١ للهجرة (٦٥٣م) وبموت يزدجرد الثالث زالت دولة الفرس وتحققت دعوة الرسول ﷺ بتمزيق ملك الأكاسرة[٤].

---

(١) جواد علي: المفصل- ٦٤٠/٢.

(٢) عبد الله الخليفة: المرجع السابق- ص ١٠٦.

(٣) جواد علي: المفصل- ٢٤٣/٣-٢٤٤.

(٤) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق- ص٢٢١.

قائمة المصادر والمراجع العربية والمترجمة والأجنبية والرسائل العلمية والدوريات

أولاً: المصادر:

١- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري: المعارف- القاهرة ١٩٣٤م.
٢- ابن المثنى التيمي، أبي عبيدة مَعْمر: أيام العرب قبل الإسلام- جمع وتحقق ودراسة: عادل جاسم البياني- ط١- عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٣- الأصفهاني، حمزة بن الحسن: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء- بيروت ١٩٦١م.
٤- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم، والملوك والمعروف بتاريخ الطبري- دار القاموس الحديث- بيروت (د.ت).
٥- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر- الجزء الثاني- بيروت ١٩٦٩م.
٦- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله: معجم البلدان- بيروت ١٩٥٧م.

ثانياً: المراجع:

أ- العربية:

٧- أحمد أمين: فجر الإسلام- بيروت ١٩٦٩م.
٨- أسمهان سعيد الجرو: التاريخ السياسي لجنوب شبه الجزيرة العربية- اليمن القديم- مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية- أربد- الأردن ١٩٩٦م.
٩- جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام- القاهرة ١٩٣٩م.
١٠- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام- الجزء الثالث- بيروت ١٩٦٩م.
١١- حسين مجيب المصري: صلات بين العرب والفرس والترك- القاهرة ١٩٦٩م.
١٢- سعد زغلول عبد الحميد: في تاريخ العرب قبل الإسلام- بيروت١٩٧٥م.
١٣- طه باقر وآخرون: تاريخ إيران القديم- جامعة بغداد ١٩٧٩م.
١٤- عبد العزيز سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام- الجزء الأول- الإسكندرية (د.ت).
١٥- عبد الله بن خالد الخليفة، عبدالملك بن يوسف الحمر: البحرين عبر التاريخ- الجزء الأول- البحرين ١٩٨٢م.
١٦- محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي: أيام العرب في الجاهلية- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
١٧- محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم: أيام العرب في الجاهلية- دار الجيل- بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
١٨- محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم- المكتبة التاريخية (١)- لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر (١)- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م- ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
١٩- محمد عبد القادر بافقيه: في العربية السعيدة- دراسات تاريخية قصيرة- جزءان- مركز البحوث اليمني- صنعاء ١٩٨٧م.

٢٠- محمد مبروك نافع: عصر ما قبل الإسلام- القاهرة ١٩٥٢م.

ب- المترجمة:

٢١- أرثر كريستنس: إيران في عهد الساسانيين- ترجمة: يحي الخشاب، مراجعة: عبد الوهاب عزام- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة ١٩٩٨م.

٢٢- جورج فضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي- ترجمة: يعقوب بكر- مكتبة الإنجلو المصرية- القاهرة ١٩٥٨م.

٢٣- حسن بيرنيا: تاريخ إيران القديم- ترجمة: محمد نور الدين عبد المنعم، السباعي محمد السباعي، مراجعة: يحيى الخشاب، مكتبة الإنجلو المصرية- القاهرة ١٩٧٩م.

٢٤- سديو، ل. أ.: تاريخ العرب العام- ترجمة: عادل زعيتر- القاهرة ١٩٦٩م.

٢٥- فيليب حتى: تاريخ العرب (مطول)- الجزء الأول- دار الكشاف- بيروت ١٩٦١م.

٢٦- كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية- ترجمة: نبيه فارس ومنير البعلبكي- الجزء الأول- بيروت ١٩٦٠م..

ج- الأجنبية:

27- Kitchen, K.A., The World of Ancient Arabia Series: Documentation for Ancient Arabia- Part 1, Chronological Framework & Historical Sources, Liverpool University Press 1994.

ثالثاً: الرسائل العلمية والدوريات:

٢٨- أماني خليفة محمد البحر: "علاقة الغساسنة السياسية بالإمبراطورية البيزنطية والقوى المجاورة في القرنين الخامس والسادس الميلاديين"- رسالة دكتوراه (غير منشورة)- قسم التاريخ- كلية الآداب للبنات بالدمام- ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٢٩- رياض هاشم النعيمي: "حملة أبرهة الحبشي إلى مكة: أهدافها ونتائجها (دراسة نقدية)"- مجلة آفاق الثقافة والتراث- قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية- مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث- دبي- الإمارات العربية المتحدة- السنة العاشرة- العدد السابع والثلاثون- المحرم ١٤٢٣هـ/نيسان (أبريل) ٢٠٠٢م- ص٦- ص١٤.

٣٠- سميرة بنت سعيد القحطاني: "حملة أصحاب الفيل على مكة خلال القرن السادس الميلادي"، رسالة ماجستير (غير منشورة)- قسم التاريخ والحضارة- كلية التربية (الأقسام الأدبية)- الرئاسة العامة للبنات- الرياض ١٤٢٢هـ.

رقم الإيداع ٦٣١٦ / ١٩٨٨